Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (7), Issue (3) April (2025)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها كلية الفارابي الجامعة

الاكتشافات العلمية الحديثة وأثرها في تفسير الآيات القرآنية

عطية عبد فاضل الجبوري

كلية العلوم الاسلامية/جامعة تكريت

Modern scientific discoveries and their impact on the interpretation of Quranic verses

Attia Abd Fadhel Al-Jubouri

الايميل/eatiaeubayd@tu.edu.iq

المستخلص:

يدرس هذا البحث في العلاقة بين الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم، مركزًا على مسألة الإعجاز العلمي ودوره في إثبات الحقائق الكونية التي تضمنها النص القرآني. يهدف البحث إلى تحليل هذه القضية من خلال دراسة الإشارات العلمية في القرآن الكريم، ومدى توافقها مع الكشوفات الحديثة، مع تحديد القواعد والضوابط الشرعية التي تحكم هذا المجال. يسعى البحث إلى الإجابة عن أسئلة محورية، منها: كيف يمكن فهم الإشارات العلمية الواردة في القرآن الكريم؟ وما مدى دقتها مقارنة بالحقائق العلمية المكتشفة حديثًا؟ وما الدور الذي يلعبه هذا التوافق في تعزيز الإيمان وإثبات مصدرية القرآن الكريم؟ اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي النقدي، حيث تم فحص آراء المفسرين القدامى ومقارنتها بالمعطيات العلمية الحديثة، مع تقديم ترجيحات مدعمة بالأدلة العلمية والشرعية. توصل البحث إلى عدة نتائج، منها أن القرآن الكريم يتضمن إشارات علمية دقيقة سبقت الاكتشافات الحديثة، وأن بعض التفاسير التقليدية قد تحتاج إلى إعادة نظر في ضوء التطورات العلمية المعاصرة. كما أظهرت الدراسة أن التوفيق بين الحقائق العلمية والنصوص القرآنية ينبغي أن يتم ضمن إطار علمي وشرعي متوازن، بعيدًا عن التأويلات المتكلفة. خلص البحث إلى ضرورة تعزيز الحوار بين علماء التفسير والعلماء المتخصصين في العلوم الطبيعية، وضرورة التثبت العلمي قبل تبني أي تفسير علمي للنصوص القرآنية، بما يحقق الفهم العميق لمقاصد القرآن الكريم دون تحميله ما لا يحتمل.

الكلمات الدالة :الاكتشافات العلمية الحديثة، أثر، تفسير، الآيات القرآنية، الإعجاز العلمي.

Abstract

This research examines the relationship between modern scientific discoveries and their implications in the Quran, focusing on the concept of scientific miracles and their role in affirming the cosmic truths embedded within the Quranic text. The study aims to analyze this issue by investigating the scientific references in the Quran and their alignment with contemporary discoveries while establishing the legal and methodological principles governing this field. The research seeks to address fundamental questions, including: How can the scientific references in the Quran be understood? To what extent do these references align with recently discovered scientific facts? And what role does this alignment play in strengthening faith and affirming the divine origin of the Quran? The study adopts an analytical and critical methodology, examining classical exegetical interpretations and comparing them with modern scientific findings, providing well-supported conclusions based on both scientific and theological evidence. The research yields several key findings, including the observation that the Quran contains precise scientific references that preceded contemporary discoveries. Additionally, it highlights the necessity of reassessing certain traditional interpretations in light of recent scientific advancements. The study also underscores that reconciling scientific facts with Quranic texts should adhere to a balanced scientific and theological framework, avoiding exaggerated interpretations that lack empirical grounding. The research concludes by emphasizing the importance of fostering dialogue between scholars of Quranic exegesis and experts in the natural sciences, as well as ensuring rigorous scientific

verification before adopting any scientific interpretation of Quranic verses. This approach aims to achieve a profound understanding of the Quranic message without imposing interpretations that go beyond the intended meaning of the text.

Keywords: Modern scientific discoveries, impact, interpretation, Quranic verses, scientific miracles.

١. المقدمة

العلم والدين هما جناحان أساسيان لفهم الحياة والطبيعة، إذ يُمثل العلم أداة لفهم العالم المادي واستيعاب قوانينه، بينما يوفر الدين رؤية روحية وأخلاقية تفسر الهدف الأسمى من الوجود. في هذا السياق، يأتي القرآن الكريم كنص مقدس، ليس فقط كمنهج ديني وأخلاقي، بل أيضًا كمنارة معرفية تحتوي على إشارات علمية تتجاوز عصر نزوله. هذه الإشارات تدعو الإنسان إلى التفكير والتأمل في الكون وفي ذاته، مما يُبرز عظمة الخالق ويعزز الإيمان بقدرته وحكمته.مع تقدم العلوم وتطور وسائل البحث، بدأت بعض الاكتشافات العلمية تؤكد على إشارات سبق للقرآن الكريم أن تناولها، مما يثير تساؤلات حول مدى توافق النصوص الدينية مع الحقائق العلمية. هذا البحث يتناول دراسة الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم، مُظهرًا الإعجاز العلمي الذي يُعدُّ شاهدًا على صدق الرسالة الإسلامية.إن التأمل في خلق الإنسان والكون وكل ما يحيط بنا يدفعنا إلى طرح تساؤلات أساسية حول الهدف من الوجود، وهو ما يجيب عنه القرآن الكريم بإشاراته العلمية التي تُحفز العقل الإنساني على التفكير والبحث. هذه الإشارات لم تُقدم فقط للإعجاز، بل كأداة تربوية وتعليمية تهدف إلى بناء وعي معرفي عميق لدى الفرد والمجتمع، ولقد أثبتت العديد من الدراسات العلمية الحديثة أن هناك تطابقًا بين الحقائق العلمية التي تم اكتشافها حديثًا وما ورد في القرآن الكريم. من أمثلة ذلك، الإشارات إلى نشأة الكون، علم الأجنة، وحقيقة الزوجية في كل المخلوقات. هذه المواضيع وغيرها تشكل دليلًا قويًا على أن القرآن ليس مجرد كتاب ديني، بل هو نص متعدد الأبعاد يجمع بين الإيمان والعلم بطريقة فريدة.في عصرنا الحديث، حيث تواجه البشرية تحديات فكرية وعلمية كبيرة، تزداد أهمية البحث في موضوع الإعجاز العلمي في القرآن. إذ يُمثل هذا المجال جسرًا يمكن أن يربط بين الفكر الديني والعلمي، ويُظهر كيف أن النصوص القرآنية تحتوي على عمق معرفي يمكن أن يُسهم في فهم الإنسان للعالم

١,١. خلفية البحث

هناك العديد من الدراسات التي تناولت موضوع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وتأثير الاكتشافات العلمية الحديثة على تفسيره، لكن معظم هذه الدراسات ركزت على جوانب محددة منه. من بين هذه الدراسات، دراسة موسومة بـ" الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم" للدكتور سليمان عمرقوش، والتي تتناول الآيات العلمية المتعلقة بالإنسان والكون، حيث يتم تحليل العلاقة بين الحقائق العلمية الحديثة والإشارات الواردة في القرآن الكريم، مع التركيز على نشأة الكون، علم الفلك، تركيب الأرض، وبعض الظواهر الطبيعية مثل الماء والزوجية والنسبية، كما تتم مقارنة ما ورد في القرآن الكريم مع الاكتشافات العلمية الحديثة. وهناك أيضًا دراسة بعنوان "أثر الاكتشافات العلمية في تفسير القرآن الكريم" للدكتور صالح صواب، والتي نشرت في مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، حيث يناقش الباحث أثر الاكتشافات العلمية في التفسير القرآني، ويستعرض أمثلة من التفسير التقليدي ويقارنها مع الحقائق العلمية الحديثة، موضحًا كيفية ترجيح بعض الأقوال أو إضافة تفسيرات جديدة، مع بيان التحديات التي تواجه هذا المنهج. ورغم تعدد هذه الدراسات، فإن معظمها ركز على مقارنة الاكتشافات العلمية مع النصوص القرآنية دون تقديم منهج متكامل للتعامل مع هذا الموضوع من منظور شرعي وعلمي متوازن، كما أن هناك حاجة لدراسات أكثر تحليلية تتناول نقدًا علميًا ومنهجيًا للآراء المختلفة، بدلًا من الاكتفاء باستعراض الأدلة التي تدعم فكرة الإعجاز العلمي.

١,٢. منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج الوصفي والتحليلي في دراسة الاكتشافات العلمية الحديثة وتحليلها في ضوء الآيات القرآنية، مع الاستعانة بالمنهج الاستقرائي لاستقراء النصوص القرآنية التي تحتوي على إشارات علمية وجمع أقوال العلماء والمفسرين حولها. كما يتم توظيف المنهج المقارن لمقارنة هذه الاكتشافات بالتفاسير القديمة، وتحليل مواقف العلماء المختلفة حول قضية الإعجاز العلمي وبيان الاتجاهات المتعددة في هذا المجال. بالإضافة إلى ذلك، يعتمد البحث على المنهج النقدي لتقييم مدى صحة وقوة الأدلة المطروحة في الدراسات السابقة، مع توجيه النقد البناء للآراء التي لا تستند إلى أسس علمية أو شرعية قوية. ويأتي المنهج الشرعي ليضمن توافق التفسيرات العلمية مع الضوابط الشرعية وأصول التفسير، مع الاستناد إلى المصادر الموثوقة من كتب التفسير المعتمدة والمراجع العلمية الحديثة، بهدف تحقيق الموضوعية والحيادية في دراسة العلاقة بين القرآن الكريم والاكتشافات العلمية الحديثة، وتعزيز الفهم العلمي والشرعي للنصوص القرآنية

١,٣. أهمية البحث

تنبع أهمية هذه الدراسة من قدرتها على تعزيز الحوار بين الدين والعلم في زمن يشهد فيه العالم انقسامًا بين الثقافات المادية والروحانية. تمثل هذه الدراسة محاولة لدمج الأدلة العلمية الحديثة مع القيم الروحية والأخلاقية المستمدة من النصوص القرآنية. تتجلى أهمية الدراسة في النقاط التالية:

١. تعزيز الإيمان والإدراك العلمي.

٢. بناء جسر بين الفكر الديني والفكر العلمي.

٣. الإجابة على الشكوك العلمية والدينية.

٤. تعزيز الوعي العام.

٢. الإطار النظري

٢و١. مسوغات الاهتمام بقضية الاكتشافات العلمية ودلالاتها في القرآن الكريم

تُعتبر الحقيقة العلمية مفهومًا يتجاوز المراحل الفرضية والدراسات النظرية ليصبح ثابتًا ومعترفًا به من قبل جميع العلماء والمختصين [١، ص٢٦] ، وتتميز الحقيقة العلمية بأنها لا تزول مع مرور الزمن، بل تتوسع وتنمو مع تطور الجهود العلمية المتعاقبة، إذ إن المعرفة المكتسبة ذات طبيعة تراكمية تنمو جيلاً بعد جيل. فالحقائق العلمية والقوانين التي تحكمها هي تعبير عن السنن الكونية التي وضعها الله، وتوضح العلاقات المحددة بين العناصر الكونية وتفسر ارتباط الظواهر بأسبابها. هذه السنن والقوانين ما هي إلا جزء من المعادلات الإلهية، يدركها البعض ويجهلها البعض الآخر، وهي جزء من الحكمة التي وصفها الرسول صلى الله عليه وسلم بأنها ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها.إن كلام الله تعالى وعلمه مطلقان شاملان محيطان بكل الحقائق الكونية، لا يعتريهما خطأ ولا يشوبهما نقص ولا تحريف، وعلم الإنسان محدود معرض للخطأ والزيادة، وما يعده اليوم حقيقة ينفيه في الغد، وأن نصوص الوحي قد نزلت بألفاظ جامعة، تحيط بكل المعاني الصحيحة في مواضعها التي تتابع في ظهورها جيلا بعد جيل، وأن القرآن الكريم لا يتجه بالخطاب إلى جيل ومكان معينين، بل إلى البشرية كافة في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة، فينبغي عدم قصر دلالة آياته على حقيقة واحدة، فإن وجود حقيقة معينة في آية من آياته قد ظهرت لنا، لا يعني عدم وجود حقائق أخرى غيرها، ففضل الله واسع يؤتيه من يشاء، ويعطي كل عصر ويفتح فيه للناس من المعرفة ما يتناسب مع احتياجاتهم وارتقاء أفهامهم، حسب حكمته وتقديره وتدبيره ، كما أن ما توصل إليه البحث والتحقيق العلمي في فهم دلالة آية كريمة، فهو ليس منتهى الفهم لهم، فالقرآن الكريم يبقى مهيمنا على المعرفة الإنسانية مهما اتسعت دوائرها، تصديقا لنبوءة الصادق المصدوق في وصفه لكلام الله جل جلاله بأنه لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد.بدايةً، يمكن إبراز أهمية الاهتمام بقضية الاكتشافات العلمية ودلالاتها في القرآن الكريم من خلال عدة نقاط أساسية ، ومن أبرز تلك النقاط:

١. امتثال أمر الله بتدبر القرآن الكريم: يدعو الله تعالى في كتابه الكريم إلى تدبر آياته وفهم أوجه إعجازه، وهو ما يعزز الإيمان ويجعل الإنسان يلمس حلاوة القرآن، حيث قال سبحانه: "كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ" (ص/ آية: ٢٩). فمن لا يتدبر ويتفكر في معاني القرآن لا يستطيع أن يدرك الجمال الحقيقي لكتاب الله.

٢. تجديد رسالة الإسلام ودعوة الناس: الحديث عن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة يعد وسيلة لعرض رسالة الإسلام بشكل معاصر، يواكب التقدم العلمي والتقني. في هذا العصر الذي يعج بالاكتشافات العلمية، يمكن أن يكون هذا العلم أداة فعّالة لدعوة الناس إلى الإسلام، بلغة يفهمها الجميع، وهي لغة العلم. وقد أشار القرآن إلى هذا التنوع في أساليب الدعوة، فقال: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ" (إبراهيم / آية: ٤).

٣. تشجيع التفكير العلمي وتعزيز الإيمان: الاهتمام بالاكتشافات العلمية والتقنيات الحديثة يعد حافزًا لاستنهاض التفكير الإبداعي والبحث العلمي، مما يساهم في تنمية الإيمان في النفوس. وكما هو معلوم، فقد تأخرت الأمة الإسلامية في كثير من مجالات العلوم، ولكن مع الاهتمام بالعلم والتقنيات الحديثة، يمكن لهذا العصر أن يكون عصرًا ذهبيًا للإسلام إذا تم استثمار هذه العلوم في خدمة الإسلام ودعوته.

٤. بناء رابط قوي بالله عبر العلم: من خلال العلوم والمعرفة، يمكن للأمة الإسلامية أن تُنشئ منظومة معلوماتية وتقنية تخدم عمارة الكون بما يرضي الله، وتسهم في توجيه الحضارات نحو سلوكيات بعيدة عن الظلم والطغيان، بما يحقق العدالة والرحمة في العالم.

٥. ضبط العلم بالقيم الأخلاقية: من الضروري توجيه العلم لخدمة القيم الإيمانية والتقيد بالضوابط الأخلاقية، بهدف حماية البشرية من المخاطر المدمرة التي قد تنجم عن سوء استخدامه. هذا يعزز دور العلم في خدمة الإنسانية ويقلل من تأثيراته السلبية على المجتمعات.

٦. تعميق الإيمان من خلال التفكر العلمي: يعد التفكر في آيات الله وفي عجائب خلقه نوعًا من العبادة، ويعزز الإيمان بالله. وهذا يعزز بدوره العقلية العلمية التي تسهم في بناء الأمم وتحقيق الحضارة.

٧. الدفاع عن القرآن الكريم: إن مواصلة البحث عن أوجه إعجاز القرآن والرد على الحملات التي تشكك فيه يعد من وسائل الدفاع عن كتاب الله. فهناك من يسعى للهجوم على القرآن مستغلًا بعض المفاهيم الخاطئة، ولذا فإن الرد على هذه الهجمات ومقارعتها بالعلم والمعرفة واجب على الأمة.

٨. تصحيح العلاقة بين العلم والإيمان: ينبغي تصحيح المسار الخاطئ في فهم العلوم الحديثة التي تقوم على مبادئ مادية لا تؤمن بالغيب، وتصحيح المفاهيم المغلوطة التي ظهرت حول الكون والإنسان والحياة. فالعلم يجب أن يكون في خدمة الإيمان وأن يتعاون مع القيم الروحية، بعيدًا عن التناقض بين العلم والإيمان.

من خلال هذه الأبعاد، يتضح أن الاهتمام بالاكتشافات العلمية في القرآن الكريم يمكن أن يكون مدخلًا لتعميق الإيمان، وتعزيز العلاقة بين العلم والدين، وتقديم رؤية إسلامية حديثة تواكب التطور التكنولوجي.

٢,٢. موقف العلماء من الكشوفات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم

من خلال النظر في كتب التفسير، ومقارنة أقوال المفسرين بالاكتشافات العلمية الحديث يمكن القول بأن للاكتشافات العلمية دورًا هامًا في تفسير القرآن، فقد تثبت قولاً أورده بعض المفسرين، وقد ترجح قولاً أحيانًا، أو تأتي لنا بمعنى جديد هو الراجح، بل ربما كانت الاكتشافات العلمية سببًا في رد بعض الأقوال وتضعيفها. ويمكن تقسيم هذا الأثر إلى الأقسام التالية:

٢,٢,١. الاكتشافات العلمية ترجح أحد الأقوال التى ذكرها المفسرون مع ترجيحهم غيره

ذكر المفسرون في تفسيرهم للآيات الكريمة أقوالًا متعددة، وقد يرجحون أحد هذه الأقوال بناءً على اجتهادهم وأسباب مختلفة. ومع ذلك، إذا أعدنا النظر في هذه الأقوال في ضوء ما تكشفه الاكتشافات العلمية الحديثة، قد نجد أن القول الذي يتفق مع هذه الاكتشافات هو قول آخر أوردوه دون ترجيحه. وبالتالي، تساهم الاكتشافات العلمية في إعادة تقييم ترجيحات المفسرين لاختيار ما يتفق مع المعطيات الحديثة.

ومن الأمثلة على ذلك تفسير قول الله تعالى:" وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ"(الطور/ آية :٦)، فقد ذكر العلماء عدة تفسيرات لمعنى "المسجور"، من أبرزها:

١. أن "المسجور" بمعنى الموقد، وهو قول مروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

٢. أن "المسجور" بمعنى المملوء، وهو قول منسوب إلى قتادة، والحسن البصري.

٣. أنه اليابس، الذي ذهب ماؤه، وهو مروي عن ابن عباس.

٤. المسجور: المحبوس.

٥. أنه المختلط عذبه بملحه. [٢ ، ص ١٩].

٦- البحر الفارغ، وهو مروي عن ابن عباس، فهو من الأضداد [٣ ، ص ٢١٤].

٧- الممنوع المكفوف عن الأرض لئلا يغمرها فيغرق أهلها، وهو قول السدي ورواية عن ابن عباس [٤ ، ص ٢٤١]. والقول الراجح عند الطبري رحمه الله: أنه المملوء.تشير الاكتشافات العلمية إلى أحد المعاني المتعلقة بالغلاف الصخري للأرض، حيث تبين أن الأرض التي نعيش عليها تحتوي على غلاف صخري خارجي يتميز بوجود شبكة هائلة من الصدوع التي تمتد لعدة مئات من الكيلومترات في الطول والعرض، وبعمق يتراوح بين ٦٥ و ١٥٠ كيلومترًا. من خلال هذه الصدوع تتدفق الصهارة الصخرية ذات درجات الحرارة المرتفعة، التي تسهم في إشعال البحر، حيث لا يستطيع الماء، رغم كثرته، إطفاء شدة هذه الحرارة، ولا تستطيع الصهارة، على الرغم من ارتفاع حرارتها إلى أكثر من ألف درجة مئوية، أن تبخر هذا الماء. وقد اكتشف العلماء أن البراكين الموجودة في قاع المحيطات أكثر عدداً وأكثر نشاطًا من تلك الموجودة على سطح الأرض. كما أوضح العلماء أنه بسبب عدم وجود الأوكسجين في قاع البحر، فإن الحمم البركانية في تلك المنطقة تكون شديدة الحرارة، ولكن دون اشتعال مباشر. ولا توجد كلمة أدق من "المسجور" لوصف هذه الظاهرة [٥ ، ص٤٥٦]عند تأمل أقوال المفسرين، نجد أن العلم الحديث قد أيد أحد الأقوال التي ذكرها المفسرون، ولكنهم لم يعطوه التفضيل. بينما أظهرت الاكتشافات العلمية ترجيح قول آخر لم يفضلوه.. من المهم الإشارة هنا إلى أن الإمام الطبري – رحمه الله – كان يرى أن المعنى الأول لكلمة "المسجور" في اللغة هو "الموقد"، لكنه لم يفضل هذا التفسير، إذ اعتقد أن البحر ليس موقدًا. ولذلك، انتقل إلى المعنى الآخر، وهو "المملوء"، وقال إنه لو ثبت له أن البحر موقد اليوم، لكان قد اختار هذا المعنى وفضله. وذكر الطبري رحمه الله أن الأقوال الأكثر صوابًا في تفسير "المسجور" هي أن البحر الموصوف هنا هو البحر المملوء، حيث تكون المياه في حالة تجمع بعضها مع بعض، مشيرًا إلى أن المعنى الأغلب لكلمة "سَجَرَ" هو الإيقاد، كما في قولهم "سَجَرْتُ التَّنُّور" أي أوقدته، بينما المعنى الآخر هو الامتلاء كما بين. ولما كان البحر اليوم ليس موقدًا كما في الماضي، بل هو مملوء، فإن المعنى الصحيح في تفسير "المسجور" هو الامتلاء المستمر للمياه. [

٢ ، ص ٢٠]عند مراجعة أقوال المفسرين والعلماء المعاصرين، يتضح أن الإشكال الذي كان يثار حول المعنى اللغوي، والذي يتمثل في كون البحر غير موقد، قد تم حله، بحيث ثبت إمكان جمع الماء بالنار، وذلك في ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة.

٢,٢,٢. الاكتشافات العلمية توضح قولاً ذهب إليه المفسرون وتجليه

تُعد هذه الطريقة في تفسير الآيات من الأساليب المهمة في الرد على الشبهات المتعلقة بما تشير إليه الآيات الكريمة وما تعنيه اللغة العربية، خاصة في حالات قد يتجاهل البعض معناها أو يجهل الأسباب والظروف التي أدت إليها. فتأتي الاكتشافات العلمية لتوضح وتبين معاني كانت غير مفهومة أو غامضة في السابق.. مثال ذلك: قوله سبحانه : "لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ" (الحجر/ آية:١٥)اختلف المفسرون على قولين:

١. سدت ومنعت من النظر، كما يسكر الماء فيمنع من الجري، وهو مروي عن مجاهد.

٢ – أن المعنى: أخذت أبصارنا [٦ ، ص٣٨٦].

ثم جاءت الاكتشافات العلمية لتوضح المعنى بعدم تمكنهم من الإبصار، وهو أن الكون يغشاه الظلام الدامس في غالبية أجزائه، وأن حزام النهار في نصف الكرة الأرضية المواجه للشمس لا يتعدى سمكه (٢٠٠ كم) فوق سطح البحر، فعندما يرتفع الإنسان فوق طبقات الجو السفلية، لا يستطيع رؤية شيء، بالرغم من أن عينيه سليمة وظيفيًا، فيظن أنه فقد قدرته على الإبصار، وقد يظن أنه أصيب بسحر. هذا التفسير العلمي يوضح بشكل أكبر سبب قول المشركين في الآية، وهو ما لم يكن يعرفه المفسرون في العصور السابقة.

٢,٢,٣. الاكتشافات العلمية تضيف قولاً جديدًا، هو الراجح في تفسير الآية، وما ذكره المفسرون يعتبر قولاً مرجوحاً

يعد هذا النوع من أوسع الأنواع، وهو شائع جدًا في القرآن الكريم. والمقصود به أن يكتشف العلم الحديث معنى من معاني الآية لم يكن قد أشار إليه العلماء السابقون، ويُعتبر هذا المعنى أولى بالتفسير من غيره مما ذكره المفسرون، وذلك لأنه يمكن حمل اللفظ عليه بشكل طبيعي ودون تكلف، خاصة وأنه أصبح ممكنًا بعد أن لم يكن معروفًا أو متوقعًا في زمن المفسرين القدامى. قال تعالى: ":أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ" (النور/ آية :٤٠).

اختلف العلماء في تفسير الموج المذكور في الآية، على النحو الآتي:

١. يغشاه موج) يقول: يغشى البحر موج (من فوقه موج) يقول من فوق الموج موج آخر، ذكره الطبري.وهذا التفسير الذي ذكره الطبري لم يفصح عن معنى الآية بشكل دقيق.

٢. يعلو ذلك البحر موج من فوقه، أي من فوق الموج موج والمعنى يتبع الموج موج حتى كان بعضه فوق بعض[٦ ، ص٣٨٦]اكتشف العلماء أن هناك أمواجًا داخلية تتواجد في أعماق البحار، تنشأ على السطح الفاصل بين طبقتين مائيتين تختلفان في الكثافة، الضغط، الحرارة، المد والجزر، وتأثير الرياح. وتتشابه هذه الأمواج مع الموجات السطحية، إلا أنه من الصعب ملاحظتها من فوق سطح الماء [٧ ، ص١١٣]من خلال المقارنة بين ما ذكره المفسرون القدماء وما أتى به العلم الحديث، يتضح أن ما أثبته العلم هو الأكثر دقة وصوابًا. وهكذا، يمكن القول إن العلم قد أضاف تفسيرًا جديدًا للآية، وهو الأكثر صحة في هذا السياق، حيث أن الموجين المذكورين في الآية هما موجات حقيقية، تحدث في البحر اللجي، الذي يغطى بموج داخلي، ويعلوه موج سطحي..

٢,٢,٤. الاكتشافات العلمية تضيف قولاً جديدًا ، لا يتنافى مع الأقوال التي ذكرها المفسرون، ويمكن اعتبارها كلها صحيحة

يكشف العلم الحديث أحيانًا عن تفسيرات جديدة لم تكن واردة لدى العلماء السابقين. إلا أنه من الصعب تأكيد هذه التفسيرات باعتبارها الأولى بالصواب على حساب غيرها، بل يمكن أن نأخذ بها دون تعارض مع الأقوال الأخرى، مما يعزز من توسيع معنى الآية القرآنية. وهذا التوسيع يكون أولى من تخصيص المعنى بغير مخصص.مثال ذلك قوله سبحانه: "وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" (الذاريات / آية :٤٩).

ذكر العلماء في ذلك أقوالاً :

١ . ومن كل شيء خلقنا نوعين مختلفين كالشقاء والسعادة، والهدى والضلالة، ونحو ذلك، وهو قول مجاهد، فالزوجية على هذا معنوية.

٢ . أن المراد بالزوجين الذكر والأنثى.

٣ . المراد صنفان ونوعان، كالذكر والأنثى، والبر والبحر، والليل والنهار[٨ ، ص٦٤]ومع تطور العلم الحديث، تم الكشف عن معنى إضافي يتعلق بالزوجية، وهو أن المادة مخلوقة بشكل ثنائي، ويسمى هذا التكافؤ أو التماثل. على سبيل المثال، الإلكترون في المادة يحمل شحنة سالبة بينما البروتون في ضد المادة يحمل شحنة موجبة. ولم تقتصر الثنائية على الشحنات فقط، بل امتدت لتشمل الكتلة، حيث اكتُشف أن هناك

إلكترونات مضادة، وعند تلاقيها مع الإلكترونات العادية، تتحولان إلى ضوء. كما لوحظ أن هناك مجرات تتداخل مع مجرات أخرى، مما يؤدي إلى انبعاث ضوء قوي لا يمكن تفسيره إلا بتفاعل مجرة ذات كتلة سالبة مع مجرة ذات كتلة موجبة، وهو نوع من الزوجية أيضًا [٩ ، ص٤٤]. من خلال هذا التفسير، نلاحظ أن العلم الحديث قد أضاف بُعدًا آخر لمعنى الآية، حيث وسع مفهوم "الزوجية" بما لا يتعارض مع الأقوال التي ذكرها المفسرون السابقون..

٢,٢,٥. الاكتشافات العلمية تضيف قولاً آخر، يمكن حمل الآية عليه، ولكنه قد يكون ضعيفًا أو مرجوحًا

وبيان ذلك أن بعض العلماء المعاصرين توسعوا في الإعجاز العلمي، وحاولوا أن يجدوا في القرآن عددًا من النظريات التي لا يقوى اللفظ على بيانها، وإنما يشير إليها بشيء من التكلف، فنجد بعض الاكتشافات التي يفسر في ضوئها القرآن بعيدة أو متكلفة، ومن ثم فهي – في رأيي– آراء مرجوحة لا ينبغي القول بها، ولا الخوض فيهامثال ذلك قوله تعالى :"أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَآء وَأَمْوٰتًا"(المرسلات / آية :٢٥]الكفت بمعنى الضم والجمع، وقد تعددت آراء العلماء حول المقصود بالآية، ومن أبرز هذه الآراء ما يلي:

١. أن الأرض تضم الأحياء على ظهرها والأموات في باطنها، بمعنى أن الأحياء يجدون فيها مساكنهم وأماكن إقامتهم، بينما الأموات يُدفنون في قبورها.

٢. أن المقصود بكونها "كفات" للأحياء هو أنها تحتوي ما ينفصل عنهم من الأشياء المستقذرة، وليس بالضرورة أنهم أنفسهم يُكفتون وهم أحياء.

٣. أن الأرض تُعتبر كفاتًا للأحياء لأنها توفر لهم ما يحتاجونه في حياتهم من مأكل ومشرب، حيث تخرج هذه الأمور من الأرض. كما أن الأبنية التي تحقق المنافع وتدفع الأضرار تُبنى منها، والمعهود عندهم أرضهم[٨ ، ص٢٤٠]يرى بعض المعاصرين أن هذه الآية تدل على الجاذبية، وفسروا الكفت بمعنى الجذب، وقالوا إن الآية تدل صراحة على المعنى العلمي الدقيق، وهو الجاذبية التي توجد في الأرض، والتي بواسطتها يستقر الإنسان عليها، وينجذب إليها[١٠ ، ص٢١٤]عند التأمل في مثل هذا القول نجد أن الآية لا تدل عليه دلالة واضحة، وإنما هو نوع من التكلف في إخضاع الآية للنظرية العلمية. وعندي أن الأولى عدم القول بمثل هذا القول، أو الاكتفاء بذكره دون القول بترجيحه، والله أعلم.

٢,٢,٦. الاكتشافات العلمية تضيف قولاً جديداً ، وتبين بطلان قول من الأقوال التى أوردها المفسرون

قد يُعد هذا الموضوع من أهم المسائل التي يجب الوقوف عندها، إذ يحتاج إلى مزيد من البحث والتحقيق. فبعض الباحثين في مجال تفسير القرآن قد وضعوا أقوال السلف رحمهم الله تعالى في مكانة لا يجوز مخالفته، معتبرين إياها حجة قاطعة لا تقبل النقض أو التعديل، نظراً لما يتمتع به السلف من علم بكتاب الله أعمق من غيرهم. ومن ثم، استنتجوا أنه لا يجوز رفض أقوال السلف بسبب اكتشافات علمية أو غيرها من المستجدات. وعلى الرغم من إقراري بأن السلف، من الصحابة والتابعين وتابعيهم، هم أقدر الناس على فهم القرآن الكريم بفضل علمهم باللغة وفهمهم العميق لآياته، إلا أن هناك تساؤلات تطرح نفسها: هل استوعب السلف تفسير القرآن كاملاً؟ وهل هم معصومون من الخطأ في تفسيره؟ وهل تمكنوا من الوصول إلى كل جوانب إعجاز القرآن؟وهنا تظهر مسألة مهمة، وهي:أولًا: هل يجوز لنا تفسير القرآن بطرق قد تكون مغايرة لما فسره به السلف؟ وسؤال آخر أعمق ينبغي طرحه: هل يمكننا رد أقوال بعض المفسرين إذا تعارضت مع الاكتشافات العلمية الحديثة؟وبالتوفيق، أقول: يجب أن نفرق بين المعنى اللغوي للنص القرآني وبين تطبيقه على الواقع، حيث أن المعنى اللغوي يتسم بالعمومية والشمول، ويشمل عدة احتمالات. ولكن قد يكون أحد هذه الاحتمالات هو المقصود في الآية، ويُحدَّد هذا من خلال السياق أو القرائن الأخرى، وعندما يجتهد العلماء في تفسير آية بناء على فهمهم أو يختارون تفسيرًا معينًا مستندًا إلى تصوراتهم، ثم ثبت لنا وجود ذلك المعنى أصبح القول به متعينًا كذلك، إذا أثبت العلم الحديث انتفاء معنى معين كان قد ورد في التفسير السابق، فيجب الامتناع عن الأخذ به لكي لا يتعارض مع الحقائق العلمية. من خلال التدقيق في بعض أقوال المفسرين، نجد أنها قد تتعارض مع ما توصل إليه العلم الحديث، وبالتالي يمكن القول بوجود إمكانات لرفض بعض هذه الأقوال استنادًا إلى الاكتشافات العلمية الحديثة. وهنا نورد بعض الأمثلة التي تبين دور الاكتشافات العلمية في رد بعض الأقوال التي ذكرها المفسرون.قال سبحانه:" اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ " (الرعد / آية : ٨)اختلف العلماء في تفسير معنى "الغيض" في الأرحام، وبرزت عدة آراء في هذا السياق:

١. أن "ما تغيض الأرحام" يشير إلى ما ينقص من مدة الحمل خلال الأشهر التسعة نتيجة فقدان دم الحيض، وما تزداد يشير إلى ما يكتمل من الحمل بتعويض هذا النقص، وهو قول منسوب إلى ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن زيد، والضحاك، ومقاتل، وابن قتيبة، والزجاج.

٢. أن الغيض يشير إلى السقط الناقص، بينما الزيادة تدل على الولد التام. وقد نقل هذا المعنى العوفي عن ابن عباس، وهو أيضًا رأي منسوب إلى الحسن.

٣. أن "ما تغيض الأرحام" يتعلق بما ولدت المرأة من قبل، وما تزداد يشير إلى ما ستلده في المستقبل. هذا القول منسوب إلى قتادة والسدي.

٤. أن المقصود هو عدد المواليد، فقد يكون العدد واحدًا أو أكثر، مثل اثنين أو ثلاثة أو أربعة.[٦ ، ص٣٠٨]. وهو المشهور بين العلماء، ويمثل قول الجمهور. وقد أشار ابن عطية إلى أن جمهور المفسرين يرون أن "غيض الرحم" يعني فقدان الدم بسبب الحمل[١١ ، ص٢٩٨]. يُظهر الطب الحديث أن غيض الأرحام لا يُقصد به السقط العادي فحسب، بل يشمل السقط غير المكتمل للأجنة قبل اكتمال خلقها، أي في مرحلة التكوين. أو يُشير إلى ما تُفسده الأرحام من الحمل، بحيث يصبح شبيهًا بالماء الذي تمتصه الأرض. كذلك، يمكن أن يدل على تلاشي الحمل أو تقلصه واندثاره، وهو ما يُعرف بالإجهاض التلقائي المبكر. ففي هذه المرحلة، يتحلل الجنين ويختفي تمامًا دون أن يبقى له أثر، مما يُظهر وكأن الرحم قد امتصّه كما تمتص الأرض الماء. كما ينطبق هذا الوصف على حالات التوائم المتلاشية، حيث يختفي أحد التوأمين تمامًا في مراحل الحمل المبكرة، دون أن يترك أثرًا داخل الرحم.

٣. النتائج

من خلال ما تم عرضه، وبعد استعراض آراء المفسرين حول عدد من الآيات المتعلقة بالإعجاز العلمي، ومقارنة تلك الآراء بالاكتشافات العلمية الحديثة، يمكن تسليط الضوء على أبرز التأثيرات التي تترتب على هذه الاكتشافات في تفسير القرآن الكريم، وذلك في عدة نقاط رئيسية:

١. القرآن الكريم معجزة خالدة: القرآن معجزة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كما هو في كل زمان ومكان، ولا يوجد دليل على أن الإعجاز محصور في فترة معينة أو نوع من الإعجاز دون غيره.

٢. القرآن هو كلام الله: القرآن هو كلام الله تعالى، الذي خلق الكون وأحاط بكل علم، ولذلك لا يمكن أن تتعارض الحقائق العلمية المكتشفة مع ما ورد في القرآن الكريم.

٣. السلف ليسوا معصومين: العلماء من السلف، رحمهم الله، ليسوا معصومين من الخطأ، وما فهموه من النصوص القرآنية كان بناءً على معارفهم المتاحة في وقتهم. ولا يعد مناقشة أقوالهم أو نقدها تقليلاً من شأنهم، بل هو محاولة لفهم أعمق للنصوص القرآنية بناءً على مستجدات العلم.

٤. الآثار الناتجة عن الاكتشافات العلمية: يمكن تقسيم الآثار التي تترتب على الاكتشافات العلمية في تفسير القرآن الكريم إلى عدة أوجه، كما يلي:

- الاكتشافات العلمية قد ترجح أحد الأقوال التي ذكرها المفسرون، بينما تبقى الأقوال الأخرى في مرتبة أضعف.
- الاكتشافات قد توضح رأيًا للمفسرين وتجعله أكثر وضوحًا.
- الاكتشافات العلمية قد تقدم تفسيرًا جديدًا يكون هو الراجح، بينما يصبح ما ذكره المفسرون الآخرون مرجوحًا.
- الاكتشافات قد تقدم تفسيرًا آخر يتماشى مع الأقوال السابقة، ويمكن اعتبارها جميعها صحيحة.
- الاكتشافات قد تطرح تفسيرًا آخر، رغم كونه ضعيفًا أو مرجوحًا، إلا أنه ممكن الحمل عليه.
- الاكتشافات قد تقدم تفسيرًا جديدًا يفند بعض الآراء السابقة ويبين بطلانها.

من خلال هذه النقاط، يظهر أن الاكتشافات العلمية قد تسهم في توسيع أفق الفهم لتفسير القرآن الكريم، وتدعم النقاش المستمر بين العلماء لتفسير النصوص وفقًا لما تقتضيه المعارف الحديثة.

المصادر:

القرآن الكريم

[١] المصلح، د. عبدالله بن عبد العزيز. الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. هيئة الإعجاز، مكة المكرمة، ١٤١٧هـ.

[٢] الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل القرآن. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٦٨م.

[٣] الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف. الجواهر الحسان في تفسير القرآن. دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ١٤١٨ هـ.

[٤] ابن كثير، الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم. تحقيق: د. محمد إبراهيم البنا، محمد أحمد عاشور، عبد العزيز غنيم، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٨ م.

[٥] الحاج أحمد، يوسف. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة. مكتبة دار ابن حجر، دمشق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م.

[٦] ابن الجوزي، الإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد. زاد المسير في علم التفسير. المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٤م.

[٧] الزنداني، الشيخ عبد المجيد عزيز. بينات الرسول صلى الله عليه وسلم ومعجزاته. مركز البحوث بجامعة الإيمان، الجمهورية اليمنية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م.

[٨] الرازي، فخر الدين. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب). دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

[٩] الطراونة، د. سليمان. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (الكون والماء). دار الفرقان، عمان – الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

[١٠] هيتو، د. محمد حسن. المعجزة القرآنية: الإعجاز العلمي والغيبي. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨م.

[١١] ابن عطية، أبي محمد عبد الحق. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

Sources:

The Holy Quran

[١]Al-Muslih, Dr. Abdullah bin Abdul Aziz. Scientific Miracles in the Quran and Sunnah. Miracle Authority, Makkah Al-Mukarramah, 1417 AH.

[٢]Al-Tabari, Abu Jaafar Muhammad bin Jarir. Jami' Al-Bayan 'an Ta'wil Al-Qur'an. Mustafa Al-Babi Al-Halabi and Sons Library and Printing Company, Egypt, Third Edition, 1968 AD.

[٣]Al-Tha'alibi, Abdul Rahman bin Muhammad bin Makhlouf. Al-Jawahir Al-Hassan in the Interpretation of the Quran. Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi, Beirut, 1418 AH.

[٤]Ibn Kathir, Al-Hafiz Abu Al-Fida Ismail bin Omar. Interpretation of the Great Quran. Investigation: Dr. Muhammad Ibrahim Al-Banna, Muhammad Ahmad Ashour, Abdul Aziz Ghanim, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1998 AD.

[٥]Al-Hajj Ahmad, Youssef. Encyclopedia of Scientific Miracles in the Holy Quran and Sunnah. Dar Ibn Hajar Library, Damascus, Second Edition, 2003 AD.

[٦]Ibn al-Jawzi, Imam Abu al-Faraj Jamal al-Din Abd al-Rahman ibn Ali ibn Muhammad. Zad al-Masir fi Ilm al-Tafsir. Islamic Office, Beirut, third edition, 1984.

[٧]al-Zindani, Sheikh Abdul Majeed Aziz. The Signs and Miracles of the Messenger, may God bless him and grant him peace. Research Center at the University of Iman, Republic of Yemen, second edition, 2004.

[٨]al-Razi, Fakhr al-Din. The Great Interpretation (Keys to the Unseen). Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, first edition, 1990.

[٩]al-Tarawneh, Dr. Suleiman. The Scientific Miracle in the Holy Quran (The Universe and Water). Dar al-Furqan, Amman - Jordan, first edition, 2003.

[١٠]Hito, Dr. Muhammad Hassan. The Quranic Miracle: The Scientific and Unseen Miracle. Al-Risalah Foundation, Beirut, third edition, 1998.

[١١]Ibn Atiyah, Abu Muhammad Abd al-Haqq. The Concise Editor in the Interpretation of the Noble Book. Dar Ibn Hazm, Beirut, First Edition, 2002 AD.